

منهج الترجمة التفسيرية في "أنوار الفرقان في ترجمة معاني القرآن" لعبد  
الحكيم شرف القادري: دراسة تحليلية  
The Interpretive Translation Method in *Anwar al-Furqan fi  
Tarjamat Ma'ani al-Qur'an* by Abdul Hakeem Sharaf al-Qadri:  
An Analytical Study

Dr. Iftikhar Ahmad Khan

*Assistant Professor, Department of Arabic, GCUF*

*Email: iftikharahmadkhan@gcuf.edu.pk*

Dr. Mumtaz Ahmad Sadidi

*Dean, Faculty of Languages, Dar-ul-Madina International  
University Islamabad*

### Abstract

This study examines the literary and artistic aspects reflected in *Anwar al-Furqan*, a translation of the meanings of the Holy Qur'an by Abdul Hakeem Sharaf Qadri, a distinguished Pakistani scholar and bilingual poet who made significant contributions to Islamic scholarship and research methodology. He is recognized among those intellectual figures who helped shape modern Islamic studies through their writings and translations in both Urdu and Arabic. The research analyzes the translator's effort to convey the aesthetic, rhetorical, and stylistic qualities of the Qur'anic text while presenting its meanings in a clear and accessible language for readers. The Holy Qur'an, revealed to the Messenger of Allah Muhammad (peace be upon him), possesses a unique linguistic and rhetorical miracle that cannot be fully reproduced in any translation. Nevertheless, translators attempt to transmit its meanings while preserving, as far as possible, the beauty and eloquence of the original discourse.

This paper highlights the literary elegance, artistic imagery, and expressive clarity present in *Anwar al-Furqan*. It further examines the

translator's methodology, linguistic choices, and stylistic approach. Through selected examples, the study demonstrates how the translation strives to maintain semantic accuracy while reflecting the rhetorical richness and spiritual depth of the Qur'anic message.

**Keywords:** Qur'anic translation, literary analysis, rhetoric of the Qur'an, Anwar-ul-Furqan, Abdul Hakeem Sharaf Qadri, Semantic accuracy

أنزل الله تعالى القرآن الكريم خاتم كتبه هدايةً للناس كافة، لتتجاوز رسالته حدود الزمان والمكان، وتشمل البشرية جمعاء. وقد اختار سبحانه العربية الفصحى وعاءً لهذا الخطاب الإلهي، فجاء القرآن بلسانٍ عربيٍّ مبين<sup>1</sup> في سياقٍ لغويٍّ كان أفصح ما عُرف في بيئته، حتى عدت العربية بفضل نزوله بها لغة الرسالة الخاتمة ورابطةً جامعةً بين المسلمين على اختلاف أوطانهم.

وتكفل الله تعالى بحفظ كتابه منذ لحظة نزوله على قلب النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، فظل محفوظاً في صدور المؤمنين وكتاباتهم جيلاً بعد جيل. وقد اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بمهمة تبليغ الوحي أكمل اهتمام، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، ودعا إلى الله في مكة ثم في المدينة، حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً، واتسعت دائرة الإسلام خارج الإطار العربي الأول. ومع هذا الامتداد الجغرافي والبشري، برزت الحاجة إلى نقل معاني القرآن شفويًا وكتابةً إلى اللغات الأخرى، نقلاً يراعي الدقة والأمانة، تيسيراً لفهمه لدى الداخلين في الإسلام من غير العرب، وتمكيناً لهم من إدراك ما يتضمنه من أحكامٍ وتوجيهاتٍ وقيمٍ إيمانية. ومن استحضار معاني ما يتلونه في صلواتهم اليومية، ولو على سبيل الإجمال.

ومن ثم غدت ترجمة معاني القرآن ضرورةً دينيةً وثقافيةً في آنٍ واحد. غير أن هذه الترجمة مهما بلغت من الإحكام لا يمكن أن تكون بديلاً عن النص القرآني ذاته؛ لأنها تمثل فهماً تقريبياً للمعنى، في حين يقوم البناء القرآني على تلاحمٍ دقيقٍ بين الإعجاز البلاغي والنسق التشريعي والإيحاء البياني، وهو تلاحم يصعب نقله كاملاً إلى لغة أخرى دون أن يفقد شيئاً من عمقه وخصائصه، ومن جانبٍ آخر تؤدي هذه الترجمة دوراً مهماً في تقديم معاني القرآن إلى غير المسلمين تقديمًا علمياً منضبطاً، ويُمكّنهم من التعرف إلى حقيقته بعيداً عن الصور النمطية أو الفهوم المغلوطة.

تُعدّ الترجمة مجالاً من مجالات علم اللغة التطبيقي، كما تمثل نشاطاً إنسانياً أساسياً ارتبط بطبيعة الإنسان الاجتماعية وحاجته إلى التواصل. فهي وسيلة لمدّ جسور التفاهم بين الأفراد داخل المجتمع الواحد، كما تسهم في تحقيق التفاعل الثقافي بين المجتمعات المختلفة. وتتمثل وظيفتها الجوهرية في نقل المعاني الكامنة في النصوص من لغةٍ إلى أخرى، بحيث يُعاد إنتاج مضمون النص في لغة الهدف مع مراعاة خصوصياتها اللغوية والثقافية، وهو ما يُعرف بعملية الانتقال من لغة المصدر إلى اللغة المستهدفة.

يعبر الأستاذ أكرم المؤمن عن مفهوم الترجمة بقوله:

”الترجمة هي فن نقل الكلام من لغة إلى أخرى، وهي فن قديم قدم الحضارة الإنسانية. وعلى من يعمل بهذا الفن أن يواصل سعيه الدائم للحفاظ على مستواه في اللغتين التي ينقل منها وينقل إليها، فاللغة

الحية دائمة التغيير، وهناك العديد من الكلمات والتعبيرات الجديدة التي تضاف إليها يوميا والعديد من الكلمات والتعبيرات التي تندثر ولا تستخدم مع مرور الوقت.<sup>2</sup>

ويقول عباد ديرانية عن الترجمة والمَلَكتَه الشخصية للمترجم الأديب:

"إن الترجمة من فروع اللغة فإن لها -كذلك مبادئ عامة. وهي التقيد بمعني النص الأصلي، وفيها باب كبير للإبداع بإعادة خلق جماليات النص بلغة جديدة، ولهذا فعلي كل مترجم أن يضيف إلى النص شيئا من ملكته الشخصية، والتي لا غني عنها للتعويض عن بعض مما فقده النص أثناء نقله."<sup>3</sup>

وتحدث الدكتور محمد حسين الذهبي عن معنى الترجمة بنوعيه قائلا:

"الترجمة تطلق في اللغة على معنيين: أولهما: نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى دون بيان لمعني الأصل المترجم، وذلك كوضع رديف مكان رديف من لغة واحدة. وثانيهما: تفسير الكلام وبيان معناه بلغة أخرى. قال الزبيدي في تاج العروس: والترجمان (المفسر للسان، وقد ترجمه و) ترجم (عنه): إذا فسر كلامه بلسان آخر. وقال الجوهري: وقيل نقله من لغة إلى لغة أخرى. وعلى هذا فالترجمة تنقسم إلى قسمين: ترجمة حرفية وترجمة معنوية أو تفسيرية. أما الترجمة الحرفية فهي نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى، مع مراعاة الموافقة في النظم والترتيب، والمحافظة على جميع معاني الأصل المترجم. وأما الترجمة التفسيرية: فهي شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى بدون مراعاة لنظم الأصل وترتيبه، وبدون المحافظة على جميع معانيه المرادة منه."<sup>4</sup>

يتضح من خلال ما سبق أن مفهوم الترجمة قد حظي بعناية عددٍ من الباحثين، ومنهم الدكتور أكرم المؤمن، والدكتور محمد حسين الذهبي، وعباد ديرانية، حيث سعى كلٌّ منهم إلى تحديد هذا المصطلح في ضوء رؤيته العلمية. وعلى الرغم من تباين صياغاتهم، فإنها تلتقي عند جملةٍ من العناصر المشتركة التي تُكوّن الإطار العام لمفهوم الترجمة.

وقد أُوردنا هذا العرض على سبيل التمهيد النظري للبحث، دون الدخول في تفصيلاتٍ دقيقة أو استقصاءٍ موسّعٍ للدلالات الاصطلاحية، تجنباً للتشعب الذي قد يخرج بالدراسة عن مسارها المحدد. ويساعد هذا التحديد الإجمالي على بناء دراسة أكثر ضبطاً وتنظيماً للقضية المطروحة. وانطلاقاً من ذلك، يجدر بنا الانتقال إلى بيان جانبيين مهمين وهما يتجليان في السؤالين الآتيين:

### الترجمة علم أو فن؟

يستعرض الدكتور عز الدين محمد نجيب هوية الترجمة من منظور محدّد، ويشرح دور آليات الترجمة، سواء تلك التي يقوم بها العقل البشري أو التي يوفرها الذكاء الصناعي:

"يعتمد العلم على الحقائق التي يمكن قياسها بطريقة أو بأخرى، والتجارب العلمية أو العمليات الرياضية إذا أجزاها أشخاص مختلفون فسيصلون إلى نفس النتيجة، أما في الترجمة فإذا ترجم قطعة ما عدد من الناس فسوف تجد اختلافا عظيما بين ترجماتهم، فليس هناك ترجمة صحيحة والباقي خطأ ... فالترجمة ليست علما محضا وليست فنا خالصا، بل هي فن تطبيقي أي حرفة تحتاج إلى الكثير من الممارسة والتدريب، والصبر. ولأن الترجمة فن تطبيقي فمن الصعب أن يقوم كمبيوتر بالترجمة الصحيحة إلا إذا وصلت سعته سعة حجم مخ الإنسان واستعملت فيه أحدث أساليب الذكاء الصناعي مع قاعدة بيانات هائلة."<sup>5</sup>

### ما هي الترجمة الأدبية؟

تتباين ترجمة الأعمال الأدبية اختلافاً جوهرياً عن ترجمة الكتابات العادية، لما تنطوي عليه من مشاعر وأحاسيس دقيقة، مما يجعل مهمة ترجمة الشعر والنثر من أصعب المهام على المترجم. وتمت الترجمة الأدبية بصلة قوية إلى الدراسة المقارنة للآداب من مختلف اللغات، والثقافات، والخلفيات الاجتماعية والثقافية. لقد قال شكري عبد الماضي عن قضية صعوبة ترجمة الأعمال الأدبية:

"يعترف الكثيرون [من الأدباء] بصعوبة ترجمة الأعمال الأدبية، بل إن هناك من يقول باستحالة ترجمة الشعر مثلاً (فكيف بالقرآن الكريم؟) وهذه الصعوبات ليست نتاجاً لمهية الأدب اللغوية بل ناتجة عن العمل الأدبي المترجم من لغة إلى أخرى، إنه يفقد تلك الإشعاعات النفسية والاجتماعية التي تتضمنها اللفظة في اللغة الواحدة، وهذا يدل على ارتباط اللغة بالفكر والإطار الحضاري العام، ومن المجازفة أن يُنظر إلى تلك الألفاظ على أنها مجرد رموز، فقد ارتبطت بالفكر الإنساني ارتباطاً وثيقاً، وأصبح من الصعب أن نتصور أي نوع من التفكير بغير هذه الألفاظ، فالإنسان يفكر بوساطة هذه الألفاظ."<sup>6</sup>

وترتبط الترجمة الأدبية ارتباطاً وثيقاً بالأدب المقارن، ذلك أن هذا الحقل المعرفي يعتمد عليها في تتبع حركة انتقال النصوص والأفكار بين اللغات والثقافات، ورصد مظاهر التأثير والتفاعل بين الآداب القومية. يحدثنا عميد المترجمين العرب الدكتور محمد عناني عن الترجمة الأدبية و صلته بالأدب المقارن قائلاً:

"إن الترجمة الأدبية ضرب من ضروب الأدب المقارن، وإن ممارسة الترجمة الأدبية تتطلب دراسة أدبية ونقدية إلى جانب إجادة اللغتين المترجم منها والمترجم إليها، ولا يوجد مايسى بالنص المثالي في الترجمة، لأن كل عمل مترجم في الحقيقة محصّلة لتلاقي إبداع المؤلف ومفهوم المترجم له على ضوء خبرته باللغة التي يُترجم إليها، وفي إطار ثقافته الخاصة وأعراف أدب هذه اللغة."<sup>7</sup>

بعد تناول مفهوم الترجمة الأدبية، يقتضي بحثنا الوقوف عند اصطلاح "ترجمة القرآن"، وهو تعبير شائع في الأوساط العلمية في باكستان والهند. غير أن هذا الاصطلاح لا يُراد به -في الغالب- النقل الحرفي للنص القرآني، وقد قرر الباحثون أن النقل الحرفي للنص القرآني مع المحافظة على نظمه وأسلوبه وترتيبه أمر غير ممكن؛ إذ يقوم بناؤه على خصوصية بلاغية ودلالية يتعذر استنساخها في لغة أخرى. وعليه فإن مصطلح "ترجمة القرآن" المُتداول في الأوساط العلمية في باكستان والهند لا يُراد به النقل الحرفي للألفاظ، وإنما يُقصد به نقل المعاني على وجهٍ تفسيري، يهدف إلى تقريب مدلولات النص إلى القارئ بلسانٍ آخر، دون ادعاء مماثلة الأصل في نظمه أو أسلوبه.

### مصطلح ترجمة معاني القرآن الكريم

يُطلق في الدراسات العربية الحديثة تعبير "ترجمة معاني القرآن" على عملية نقل ما تدل عليه الألفاظ القرآنية من معاني إلى لغات أخرى. ويُقابل هذا المفهوم في اصطلاح علوم القرآن ما يُعرف بالترجمة المعنوية أو التفسيرية، وذلك تمييزاً لها عن الترجمة الحرفية التي تهدف إلى نقل الألفاظ وبنيتها اللغوية كما هي.

ويعتمد هذا النوع من الترجمة على مصادر التفسير المعتبرة، مثل تفسير القرآن بالقرآن، وبيان السنة النبوية، وأقوال العلماء، إلى جانب الاستفادة من المعاجم اللغوية والاصطلاحية؛ وذلك

للوصول إلى أقرب معنى يُتصوّر أنه مراد النص. وتنطلق هذه العملية من فهمٍ علميٍّ قائمٍ على ما ورد في الكتاب والسنة من بيان، ثم يُنقل هذا الفهم إلى اللغة المقصودة. ولهذا فإن الترجمة التفسيرية لا تزعم نقل الخصائص البلاغية للنظم القرآني، ولا الإحاطة بجميع دلالاته، وإنما تقف عند حدّ توضيح المعنى في نطاق القدرة البشرية.

ويستلزم هذا العمل تمكُّنًا راسخًا من لغة النص الأصلي واللغة المنقول إليها، إضافةً إلى معرفة معتبرة بعلوم الشريعة وعلوم القرآن؛ حتى يكون أداء المعنى صحيحًا من جهة العلم واللغة. ومن هنا فإن المترجم يقدّم ما تيسّر له من المعاني بحسب اجتهاده ومعرفته، دون ادعاء استيعاب جميع وجوه الدلالة، إذ إن معاني القرآن أوسع من أن تُحصّر في تفسير أو ترجمة. وعلى هذا الأساس فإن القول بجواز الترجمة التفسيرية إنما يكون في إطار ضوابط علمية وشروط منهجية تحفظ المعنى من الخلل والتحريف.

. ويوضح الدكتور عبد الله عباس مدلول المصطلح: "ترجمة معاني القرآن" بقوله:

"إن ترجمة معاني القرآن الكريم عبارة عن تفسير موجز للقرآن في لغة أجنبية ويقال لها الترجمة التفسيرية، ومعناها نقل مدلول الآيات القرآنية إلى لغة أخرى بقدر طاقة المترجم، وما تسعه لغته، وبدون التزام بالمحافظة على الأسلوب الأصلي على جميع المعاني المرادة منه."<sup>8</sup>

ويبين الدكتور نور الدين عتر حكم ترجمة معاني القرآن الكريم بقوله:

"هذا موضوع حاق. والحاجة لبحثه ضرورية، فقد انتفع بفهم معاني القرآن فأمنوا، وازداد آخرون إيماناً، وضل قوم بسوء ما فُسر لهم القرآن بغير لغته، وصدّهم ذلك التحريف لمعانيه عن القرآن."<sup>9</sup> ويشرح الأستاذ مناع القطان معني الترجمة بنوعيه (الحرفية والمعنوية) قائلاً:

"الذين على بصير باللغات يعرفون أن الترجمة الحرفية لا يمكن حصولها مع المحافظة على سياق الأصل والإحاطة بجميع معناه، فإن خواص كل لغة تختلف عن الأخرى في ترتيب اجزاء الجملة... والتعبير العربي يحمل في طياته من أسرار اللغة ما لا يمكن أن يحل محله تعبير بلغة أخرى، فالألفاظ في الترجمة لا تكون متساوية المعنى من كل وجه فضلاً عن التراكيب. والقرآن الكريم في قمة العربية فصاحة وبلاغة، وله من خواص التراكيب ولطائف المعاني، وسائر آيات إعجازه فلا يستقل بأدائه لسان."<sup>10</sup>

إن لكل لغة خصائصها التي لا تشاركها فيها لغة أخرى. وعليه، فلو افترضنا محاولة ترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية - وهو أمر متعذر في ذاته - لذهبت روعته البلاغية، وفقد جمال نظمه المعجز. وهذا هو مفهوم مصطلح "الترجمة الحرفية للقرآن". وقد تناولها الدكتور عبد الله عباس بقوله:

"الترجمة الحرفية للقرآن وهي أن يُترجم نظم القرآن في لغة أخرى، في المفردات والتراكيب والنسق والأسلوب لتقوم الترجمة مقام الأصل العربي، ولتحمل الترجمة ما يحمله النص القرآني من من المعاني بمحكمها و متشابهها، وتأثير بلاغتها المعجز في القلوب، هذا النوع من الترجمة مستحيل عقلاً وشرعاً، إنه مستحيل عقلاً لأن التجارب العلمية برهنت على أن نقل الكلام من لغة إلى أخرى بكل ما في الأصل من المعاني والملاحم، وظلال اللفظ وإشارات التراكيب، وجمال الأسلوب وروعة البيان. مستحيل حتى في كلام البشر، فكيف به في كلام الله المعجز؟ فما أكثر ما ترجم أدباء العرب تمثيلات

شيكسبير، وما أكثر ما ترجم الإنجليز روايات ألف ليلة وليلة، وما أكثر ما ترجم أدباء العرب والغرب رباعيات الخيام الى لغاتهم، ولكن ما أبعد هذه الترجمات من الروعة التي توجد في النص الأصلي، وما أبعداها من المعاني التي توحى بها تراكيبها حين تأخذ الكلمات مكانها في الجمل، حتي مجرد علامات التعجب والوقف أحيانا تُحدث معاني عميقة لاتسعتها الترجمات في حال من الأحوال. وأما شرعا فإنه مستحيل، لأن معناه: الإتيان بقرآن مماثل بلغة أخرى، وهذا أمر لن يقدر عليه إنس ولا جان ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.<sup>11</sup>

وإذا انتقلنا إلى المجال اللغوي والأدبي، وجدنا أن ما قرره المتخصصون في الأدب المقارن، ونظريات الترجمة الحديثة، يعضد هذا التوجه تأصيلاً وتفسيراً؛ إذ ذهب عدد من كبار اللغويين والنقاد إلى أن ترجمة الأعمال الأدبية - شعراً كانت أم نثراً - ترجمة تنقل جميع أبعادها الجمالية والبلاغية نقلاً تاماً أمر متعذر، وربما مستحيل. ويُعلّل ذلك بأنّ للأدب لغة ثانية داخل اللغة الأولى؛ فالعلامات الصوتية والحروف واحدة، غير أنّ البنية الأسلوبية، والتراكيب الفنية ذات الدلالة العميقة والتي تُنتج معنى مركباً يتجاوز الدلالة القاموسية المباشرة.

### الاستعداد العلمي المطلوب للترجمة لدي صاحب أنوار الفرقان

كان شيخنا محمد عبد الحكيم شرف القادري، موفور الفضل من الله تعالى في الاستعداد العلمي واللغوي والفكري والثقافي. فقد كان متمكناً من اللغة العربية والأردية قراءة وكتابة، مما أهله ليكون مترجماً بارعاً، متمكناً من أدوات الترجمة، ومتقناً في نقل المعاني من العربية إلى الأردية بأمانة ودقة. وقد أسهم في إثراء المكتبة الأردنية بترجمة العديد من الكتب العربية إلى هذه اللغة. ومن أبرزها: نفحات الخلود، ونسمات الخلود، ورشحات الخلود للإمام محمد صالح فرفور، والفضل المؤبد لآل محمد ﷺ للإمام يوسف بن إسماعيل النهاني، والحزب الأعظم للإمام علي القاري، وكشف النور لأصحاب القبور للشيخ عبد الغني النابلسي، ومطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات للعلامة مهدي الفاسي، وتحصيل التعرف في معرفة الفقه والتصوف للشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي، ومسائل كثر حولها النقاش والجدل للسيد زين آل سميط، وأدلة أهل السنة والجماعة للشيخ السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي وكلها مطبوعة.

لقد كان الشيخ مطلعاً على أحدث المؤلفات في علوم القرآن والتفسير، مما أسهم في اختيار عنوان ترجمته لمعاني القرآن: "أنوار الفرقان في ترجمة معاني القرآن" وهو مصطلح معروف في الأوساط العلمية بالبلاد العربية، ومن هنا تتجلى القيمة العلمية والمنهجية لاختيار الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري لهذا المصطلح؛ إذ يجمع هذا الاختيار بين الدقة الاصطلاحية، والأمانة العلمية، ويضع جهده في إطاره الصحيح، بعيداً عن أيّ إحياء بإمكان نقل النصّ القرآني المعجز بذاته إلى لغةٍ أخرى. فإنّ ترجمة النصوص الأدبية - فضلاً عن ترجمة النصوص الدينية - ليست نقلاً بقدر ما هي تفسير وتأويل، وأنها تخضع بالضرورة لاختيارات المترجم، وحدود لغته، وأفقه الثقافي.

كان شيخنا المترجم لا يبتعد عن النص القرآني عند ترجمة معاني الكلمات القرآنية، كما كان حذراً دقيقاً في استخدام التعبيرات الأردنية في ترجمته لمعاني القرآن، فيجعلها خاضعة للألفاظ القرآنية العربية وتابعة لها. وكان ملتزماً بالنص القرآني في منهجه، فجعل هذه التعبيرات خادمة للمعنى، من غير أن يسمح لها بالاستقلال أو الابتعاد عن دلالة النص وروحه. ومن ثمّ يمكن القول: "لم تكن

لغته الأردية في الترجمة تنصرف عن النص القرآني<sup>12</sup>. وكانت ترجمته لمعاني القرآن تؤدي دور الوسيط الأمين في نقل معانيه. وقد حافظ في ذلك على مركزية النص العربي وهيمنته الدلالية، فجاءت الترجمة تابعة للأصل، لا مزاحمة له ولا مستقلة عنه.

لقد كان الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري رحمه الله تعالى متمكناً من اللغتين العربية والأردية نظماً نثراً<sup>13</sup> وتكشف كتاباته بالأردية، إلى جانب ترجماته المتعددة إليها، عن موهبة أدبية راسخة وذوق بياني رفيع. كما يدلّ تمكّنه الواضح في فنّ النظم بكلتا اللغتين العربية والأردية، على امتلاكه أدوات التعبير في مستويهما الشعري والنثري على السواء. وقد انعكس مخزونه الأدبي على عمله في ترجمة معاني القرآن؛ إذ جاءت عبارته الأردية متوازنة بين الأمانة للمعنى وجمال الصياغة، بعيدة عن التكلّف أو الافتعال، محافظةً على روح النصّ العربي ومركزيته، مع قدرة على تقريب الدلالة إلى المتلقي بلغة سليمة رصينة. ومن ثمّ فإن براعته الأدبية كانت عاملاً مؤثراً في إحكام الترجمة وضبطها، وجعلها أقرب إلى روح النصّ القرآني.

هذا وكان الشيخ واسع الاطلاع على خمسة عشر علماً من العلوم التي تُعدّ من ضرورات المفسّر وأدواته المنهجية، والتي نبه عليها الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي في كتابه: "التحبير في علوم التفسير"<sup>14</sup> إضافة إلى أنه كان ملماً بأصول ترجمة معاني القرآن، فقد ألف كتاباً بعنوان: "أصول ترجمة القرآن"، ناقش فيه الشيخ بعض الأخطاء التي وقع فيها بعض المترجمين الأردنيين، فنبه إلى تسع نقاط ينبغي أن يعتني بها مترجم القرآن الكريم. وقال في كتابه هذا: "إن القرآن الكريم هو ذلك الأثر الخالد في اللغة العربية الذي ارتقى إلى مرتبة الإعجاز، ولا يمكن لأي مترجم، كائناً من كان، أن يترجمه بعبارة تماثل إعجازه أو تحاكي أسلوبه المعجز. غير أن الملم بعلوم المعاني والبيان يستطيع أن يقدم ترجمة تقرب بعض معانيه، وتظهر شيئاً من إشارات إعجازه وبلاغته، وإن لم تبلغ شأواً الأصل المعجز"<sup>15</sup>.

وكان لعمله في تدريس العلوم الإسلامية والعربية، وما اكتسبه من إلمام بالعلوم التي نصّت عليها كتب علوم القرآن شرطاً لفهم معانيه وترجمتها، أثرٌ بيّن في نجاحه في هذه المهمة. فقد أمضى ما يقارب أربعين عاماً من حياته في ميدان التعليم والتربية، مما أكسبه رسوخاً علمياً وخبرةً تربوية انعكست على منهجه في الترجمة ودقته في أداء المعنى<sup>16</sup>. وكان شيخنا قد درّس مراراً وتكراراً: تفسير الجلالين، وتفسير البيضاوي، وصحيح البخاري، وسنن ابن ماجه، وسنن أبي داؤود، ومشكاة المصابيح، وديوان الحماسة، وديوان المتنبي خلال مسيرته التعليمية كما هو مذكور في المراجع المعنية بحياته وخدماته، لذا كان الشيخ أهلاً مؤهلاً لترجمة معاني القرآن.

تمكن حب القرآن الكريم وحب صاحبه -عليه أفضل الصلاة والتسليم - من سويداء قلب الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري رحمه الله تعالى منذ نعومة أظفاره، لأنه كانت والدته "رابعه بى بى" رحمها الله تعالى تعلم بنات حمها قراءة القرآن نظراً، وقد أودعت نور القرآن في قلوب مئات من البنات لوجه الله تعالى<sup>17</sup>.

التحق الشيخ في طفولته بأحد المقرئين ليحفظ القرآن الكريم، غير أنه لم يستطع مواصلة الحفظ بسبب الأسلوب القاسي للمقرئ. وقد أشار في مذكراته إلى ذلك بقوله: "ليتني كنت قد رزقت أستاذاً عطوفاً في صغري، لكنت قد سعدت بحفظ القرآن الكريم"<sup>18</sup>.

### أسلوب الترجمة لمعاني القرآن لدى صاحب أنوار الفرقان

تميّز الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري بمنهج خاص في ترجمة معاني القرآن، إذ امتلك تمكناً راسخاً من اللغتين العربية والأردية، ووعياً دقيقاً بحساسية هذا الميدان ودقته. لم لا فقد كان ألف كتيباً يوضح أصول ترجمة معاني القرآن وضوابطها، مستنداً إلى علوم القرآن والتفسير الحديثة، مما أسهم في ترسيخ منهجه ودقة عمله، ومن هنا يمكن للمتأمل في ترجمته أن يلمس فيها توفيقاً إلهياً واضحاً في ترجمته لمعاني القرآن.

وقد انعكست براعته الأدبية في نظمه الشعر بالعربية والأردية والفارسية، علي رغم قلّة نماذجه الشعرية، وفي نثره الأردني السلس والواضح، بعيداً عن التكلف، محافظاً على جمال الأسلوب وورصاته. ولم يكن ينساق وراء التعابير الأردنية المتكلفة، بل كان يوظفها ضمن السياق القرآني، محافظاً على مركزية دلالاته.

وأثبتت خبرته في ترجمة الكتب من العربية إلى الأردية أثرها بوضوح في ترجمة معاني القرآن، إذ اعتمد على خلفية الكلمات القرآنية العربية. مع الابتعاد عن التعقيد والتكلف، والالتزام بسلاسة الأسلوب وانسياب العبارة. وهنا يتجلى التوفيق بين التمكن من اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وبين توظيف التعابير الأردنية بما يخدم المعنى، دون أن تنفصل عن دلالات النص الأصلي أو تتجاوز حدودها.

وإلى جانب هذا التأهيل اللغوي، كان الشيخ على وعي عميق بحساسية هذا الميدان الدينية ودقته؛ إذ أدرك ما يكتنف ترجمة معاني القرآن من مسؤولية علمية ومنهجية. ولهذا ألف كتيباً في هذا الموضوع، موضحاً الضوابط التي ينبغي مراعاتها، ومبيّناً الأسس العلمية التي تضبط هذا العمل. وكان الشيخ متمتعاً بالذوق الأدبي الرفيع، ظهرت آثار ذوقه الأدبي في نظمه الشعر بالعربية والأردية والفارسية. وعلى الرغم من أن نماذجه الشعرية ليست كثيرة، إلا أنها تشهد بشغفه بهذه الآداب الثلاثة وتمكّنه منها. أما ترجمته لمعاني القرآن فهي متممة بالسلاسة، وسهولة الكلمات الأردنية، والوضوح، والبعد عن التكلف والتعقيد، مع محافظة على رصانة الأسلوب وجمال العبارة، وهكذا كان أسلوب الشيخ في ترجمته لمعاني القرآن متميزة بالطابع الأدبي.

وقد كان الشيخ يتحرى غاية الاحتياط بعد الثأني في ترجمة كل آية، فيراجع تفاسير القرآن الكريم، ويطلع على العديد من الترجمات الأردنية لمعاني القرآن، فإذا تبين له أن ترجمةً أخرى أرجح وأدق، لم يتردد في تعديل ألفاظه والعدول عمّا سبق إلى ما هو أحسن وأقوم. وكان من جملة ما يرجع إليه: تفسير القرطبي، والتفسير الكبير، ومدارك التنزيل، وروح المعاني، والجلالين مع الصاوي، وتفسير السمرقندي، والتفسير المظهر، وتفسير البيضاوي، وتفسير الشربيني، وتفسير ابن كثير، والمقتطف من التفاسير، ومفردات القرآن للأصفهاني<sup>19</sup>.

لقد قام مفسّروا القرآن الكريم بتفسيره على طريقتين، ومنهما: التفسير بالمأثور وقد عمد العلامة شرف القادري إلى ترجمة معاني ألفاظ القرآن الكريم اعتماداً على كتاب الله وعلى سنة رسوله ﷺ، ويمكن تسمية هذه الطريقة بالترجمة التفسيرية وسأقدم - على سبيل المثال - ترجمة آيتين فقط من: "أنوار الفرقان في ترجمة معاني القرآن". تتجلى فيهما لمحة من التفسير بالمأثور.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾<sup>20</sup>

وجاءت ترجمة معاني ألفاظ هذه الآية إلى الأردية في "أنوار الفرقان" على النحو الآتي: "اور جب انہیں کہا جائے: زمین میں دہشت گردی نہ کرو تو کہتے ہیں: ہم تو صرف اصلاح کرنے والے ہیں۔"

وعند ترجمته لمعاني هذه الآية إلى الأردية، لجأ الشيخ إلى الترجمة المعنوية التفسيرية لما ورد في الآية من الكلمات التالية: "لا تفسدوا في الأرض"، فعبر عنها بما يفيد في العربية: "لا تمارسوا الإرهاب في الأرض". وعند ترجمته لمعاني هذه الآية إلى الأردية، لجأ الشيخ إلى الترجمة التفسيرية لما ورد في الآية الكريمة الكلمات: "لا تفسدوا في الأرض"، فعبر عنها بما معناه في العربية: "لا تمارسوا الإرهاب في الأرض". [وهو تعبير دقيق يدل على توجهه إلى إبراز البعد الاجتماعي والعملي لدلالة الإفساد من منظور الأوضاع العصرية الراهنة]. ولما وقف [ممتاز احمد سديدي] على هذه الترجمة سأل والده فضيلة الشيخ - رحمه الله - : كيف يفهم قوله تعالى: ﴿لَا تُفْسِدُوا﴾ بمعنى "لا تمارسوا الإرهاب"؟ فأجاب مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾<sup>22</sup>

وجاءت ترجمة معاني ألفاظ هذه الآية إلى الأردية في "أنوار الفرقان" على النحو الآتي: "اور جب وہ آپ کی مجلس سے رخصت ہوتا ہے تو زمین میں دہشت گردی کرنے کیلئے دوڑ دھوپ کرتا ہے، کھیتی اور جانداروں کو ہلاک کرتا ہے اور اللہ دہشت گردی کو پسند نہیں فرماتا۔"<sup>23</sup>

لقد قام الشيخ بنقل دلالات الألفاظ الواردة في الآية المشار إليها سابقاً، ففسّر الكلمتين الآتيتين منها: "لِيُفْسِدَ فِيهَا" بمايلي: "ليمارس الإرهاب في الأرض". فعبر عن قول الله تعالى: "وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ" بالأردية بما يفيد في العربية: "والله لا يحب الإرهاب". ثم قال والده: إن هذه الآية فسّرت الفساد بإهلاك الحرث والنسل، فما حقيقة الإرهاب إن لم يكن إفساداً للزرع وإهلاكاً للأنفس؟<sup>24</sup> وعند استماعه إلى هذا الكلام اتّضح له مفهوم الفساد في الأرض؛ لقد شهدنا في كثير من الدول الإسلامية ممارسة الاحتلال والإرهاب الرسمي، وكانت قوى الاحتلال على الرغم من جرائمها العسكرية تدّعي بوقاحة أنها تسعى إلى "الإصلاح والاستعمار"، متخذةً من هذه الشعارات غطاءً لممارستها البشعة، كما أطلقت كلمة "الاستعمار" على الدمار وإهلاك النفوس واستنزاف خيرات الشعوب الضعيفة، إذ تقدمت الدول المتقدمة في عصرنا على حساب البلاد المحتلة، أو ما سُمّيت بالمستعمرات، مستغلةً مواردها البشرية والطبيعية لتحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية.

فهذا يُمثّل نموذجاً للترجمة التفسيرية التي تعتمد على ترجمة معاني القرآن بالقرآن، حيث يُستعان بأية قرآنية لتفسير آية أخرى. أما نموذج الترجمة التفسيرية الذي يستند إلى الحديث النبوي الشريف فيمكن ملاحظته كما جاء في كتاب أنوار الفرقان عند تفسير وترجمة قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾<sup>25</sup>

وجاءت ترجمة معاني ألفاظ هذه الآية إلى الأردية في "أنوار الفرقان" على النحو الآتي: "اس کی کرسی آسمانوں اور زمینوں سے کہیں وسیع ہے۔"

وفيما يلي معنى هذه الترجمة الأردية لمعاني الآية باللغة العربية: "كرسيه أوسع من السماوات والأرض". وكانت هذه الترجمة في ضوء ما نقله الشيخ عن القرطبي: أن النبي ﷺ قال لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه: "ما السماوات السبع في الكرسي - أي بالنسبة للكرسي- إلا كحلقة ألقيت في فلاة من"

الأرض.<sup>27</sup> ومن هنا قام الشيخ بترجمة معني كلمة: "وسع" بكلمة أخرى وهي: "أوسع" والتي هي مستوحاة عن الحديث، وهذا خير شاهد على توظيف الحديث النبوي في إيضاح معنى كلمة من الآية القرآنية وتقريره، وهو من أبرز سمات الترجمة و التفسير بالمأثور.

لقد قضى الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري جانبًا كبيرًا من حياته في تدريس العلوم الإسلامية والعربية، مما أكسبه نظرًا عميقًا في العلوم الإسلامية والعربية، إضافة إلى إلمامه بأصول ترجمة معاني القرآن الكريم، وقد ساعده هذا التمكن على نقل معاني الكلمات القرآنية إلى اللغة الأردية بأسلوب واضح وسلس، مستفيدًا من خبرته الواسعة في علوم اللغة وأصول التفسير وعلوم القرآن، مما جعله نموذجًا رائدًا في الترجمة التفسيرية للكلمات القرآنية إلى الأردية، مع المحافظة على دقة المعنى وروح النص القرآني. دون أن تفقد معانيها الأصلية أو تفصل عن سياقها القرآني. ومن خلال ترجمته لمعاني الآية الأخيرة من سورة الفاتحة يمكن استجلاء عمق نظره في علم النحو. ونصُّ الآية وترجمة معانيها كما يلي:

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾<sup>28</sup>

وجاءت ترجمة معاني ألفاظ هذه الآية إلى الأردية في "أنوار الفرقان" على النحو الآتي: جو نه تو غضب کا نشانہ بنے اور نہ ہی گمراہ ہوئے۔<sup>29</sup>

يفيد معنى هذه الترجمة الأردية الي العربية ما يلي: "الذين لم يكونوا هدف غضب، ولم يضلوا" وقد علّق الشيخ في الحاشية على هذه الترجمة مستندًا إلى قول البيضاوي، لتوضيح دقة المعنى وملاءمته لسياق الآية: "لقد تم اختيار هذه الترجمة [المذكورة أعلاه] لأنّ قوله تعالي: "غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ" بدلٌ من: "الَّذِينَ" على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال."<sup>30</sup> ثم قال: وأما الترجمة المشهورة لهذه الآية: "لا طريق المغضوب عليهم ولا الضالين." فهي صحيحة أيضًا، لأنّها هي الأخرى تبين المفهوم على وجه آخر.<sup>31</sup> ومن خلال هذا الكلام يتبين لنا مدى رسوخ صاحب أنوار القرآن في علم النحو من جهة، ومن جهة أخرى، يظهر جليًا احترامه لترجمات معاني القرآن السابقة وتقديره لها.

وكان الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري رحمه الله تعالى يرى أثناء الترجمة أنّ إيراد الإيضاحات عند ترجمة معاني بعض الكلمات القرآنية بين القوسين قد يُفضي إلى إطالة الترجمة الأردية لمعاني الآية، فكان يعتمد أسلوبًا مباشرًا في الترجمة والذي كان يُغني - في الغالب - عن الحاجة إلى مثل هذه الأقواس، غير أنه لم يكن يتردد في تقديم التوضيح اللازم بالتوضيح الموجز بين القوسين حيثما اقتضت الحاجة، مستعينًا بأسلوب يجمع بين الاختصار والجامعية في عرض المعنى، قريبًا من أسلوب تفسير الجلالين والمدارك. ننظر-على سبيل المثال لا الحصر- إلى الآية الكريمة التالية وترجمة معانيها، لترى مدى شدة الحاجة إلى هذا التوضيح الذي أذاه الشيخ بأسلوب بديع. قال الله تعالى:

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾<sup>32</sup>

وجاءت ترجمة معاني ألفاظ هذه الآية إلى الأردية في "أنوار الفرقان" على النحو الآتي: "اور یہود و نصاری آپ سے ہرگز راضی نہیں ہوں گے جب تک آپ ان کے دین کی پیروی نہیں کرتے ، آپ فرما دیجئے: "اللہ کی ہدایت (اسلام) ہی ہدایت ہے اور (اے سننے والے!) تیرے پاس علم آجانے کے

باوجود اگرتو نے ان کی خواہشات کی پیروی کی تو تجھے اللہ تعالیٰ کی گرفت سے بچانے والا نہ کوئی دوست ہوگا نہ مددگار۔" <sup>33</sup>

وقد أدرج الشيخ توضيحًا موجزًا أثناء ترجمة معاني هذه الآية إلى الأردية، موضحةً ذلك بين القوسين في موضعين، أولهما: "قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ [وهو الإسلام] هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ [أيها السامع]، حيث بين أن الهدي المقصود في الآية هو الإسلام، وأشار كذلك إلى أن المخاطب في هذه الآية هو سامعها مباشرة. ولولا إضافة عبارة "أيها السامع" بين القوسين في ترجمة معاني هذه الآية المباركة، لكان من المحتمل أن يقع القارئ العامي الذي لا دراية له بدقائق العربية في سوء فهم خطير؛ إذ قد يظن أن الخطاب موجّه على وجه الحقيقة إلى النبي ﷺ، مع أن المقصود به - في هذا السياق - التنبيه والتحذير لغيره بطريق التعريض. وهكذا كان الشيخ حذرا وكان يُضيف مثل هذه العبارات التوضيحية، صوتًا لأذهان القراء من الوقوع في اللبس أو سوء الفهم في سائر المواضع التي لم يكن الخطاب فيها موجّهًا إلى النبي ﷺ على سبيل الحقيقة. <sup>34</sup>

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ لم يكن يضيف التوضيحات بين القوسين من تلقاء نفسه، بل كان يعتمد في ذلك على كتب التفسير المعتبرة، حيث كان يستمد دلالة الكلمات القرآنية منها ليشرحها للقارئ عند قراءة هذه الترجمة. وقد اطلعنا في: "أنوار الفرقان" على أسماء الكثير من كتب التفسير كان الشيخ يولي بها اهتمامًا بالغًا نظرًا لحساسية مهمة ترجمة معاني القرآن الكريم، إذ وقع بعض مترجمي القرآن إلى الأردية في أخطاء فاحشة بسبب عدم توفر الاستعداد العلمي الكافي لديهم أو لعدم رجوعهم إلى كتب التفسير، فنسبوا لله تعالى وللحبيب المصطفى ﷺ ما لا يليق بعظمة الألوهية ومقام الرسالة. وقد نبه الشيخ في كتيبه عن أصول ترجمة معاني القرآن إلى بعض الآيات التي حارفها بعض مترجمي القرآن الكريم إلى الأردية، موضحةً الصعوبات التي قد تواجه المترجم و بين فيها سبل التعامل مع الآيات التي لضمان نقل المعنى بدقة ووفاء للنص القرآني.

وبالإضافة إلى اعتماد الشيخ على كتب التفسير كان يستعين بترجمات معاني القرآن السابقة أيضًا، مثل ترجمة الإمام ولي الله الدهلوي لمعاني القرآن باللغة الفارسية. أما بالنسبة للترجمات الأردية، فقد اهتم بالرجوع إلى ترجمة معاني القرآن للإمام أحمد رضا القادري الحنفي، والسيد الشريف العلامة أحمد سعيد الكاظمي، والدكتور حامد حسن البلجرامي بصفة خاصة، مع الاستفادة من تراجم أخرى لمعاني القرآن حسب الحاجة <sup>35</sup>.

يتبين من خلال استقراء "أنوار الفرقان" في ترجمة معاني القرآن أن صاحبه كان يتمتع برسوخٍ علميٍّ مكين في اللغة العربية والعلوم الإسلامية بعامة، وفي علوم القرآن بخاصة، وهو رسوخٌ لم يكن معزولاً عن تمكّن رفيعٍ من اللغة الأردية السلسلة. وقد انعكس هذا الازدواج المعرفي انعكاسًا واضحًا في منهجه المختار في الترجمة؛ إذ تحرّى الوضوح والسلاسة، واجتنب التكلّف والتعقيد، فجاءت عبارته الأردية مناسبةً رشيقة، بعيدةً عن الغموض المصطنع.

ومما يُحسب للشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري - رحمه الله - من مواقفه العلمية الدقيقة ورؤيته المنهجية الواعية، أنه لم ينسج مع العنوان الشائع في شبه القارة الباكستانية - الهندية، وهو: "ترجمة القرآن" وهو اختيارٌ يكشف عن اطلاعٍ راسخ على تطوّر مباحث علوم القرآن

في الدراسات الحديثة، ووعي عميق بنتائج البحث القرآني المعاصر، ولا سيما ما يتعلّق بإشكالية اللغة، والدلالة، والإعجاز البياني-

ويستند هذا الاختيار الاصطلاحي إلى أصلٍ علميٍّ متّفقٍ عليه بين المحقّقين، وهو أنّ الترجمة الحرفية للقرآن الكريم متعذّرة، بل ممتنعة من حيث المبدأ كما سبق أن ذكرنا؛ لأنّ القرآن ليس مجرد خطابٍ لغويٍّ يمكن نقله من نظامٍ لسانيٍّ إلى آخر، بل هو نصٌّ إلهيٌّ معجز، تتداخل فيه مستويات النظم، والدلالة، والإيقاع، والسياق، والبعد البياني تداخلًا لا يمكن استيعابه في لغةٍ أخرى. ومن هنا استقرّ الاصطلاح العلمي الحديث على التمييز بين نصّ القرآن ومعانيه، فجاء مصطلح: "ترجمة معاني القرآن" بوصفه التعبير الأدقّ والأصدق علميًّا.

وقد حرص الشيخ في ترجمته لمعاني القرآن الكريم على استخدام علامات التقييم مثل الفاصلة (،)، والنقطة (.)، والنقطتين الرأسيتين (:)، وعلامة الاستفهام (?)، وعلامتي الاقتباس (")، (")، نحو: قال الأستاذ: "العلم نور". وقد أسهم توظيف هذه العلامات في تسهيل فهم المعنى، وتنظيم العبارات، وتوضيح المقصود للقارئ بصورة أدقّ وأيسر.

وكان الشيخ يسير على منهجٍ معيّن في الترجمة يُعنى بنقل معاني الآية إلى اللغة الأردنية والاهتمام بمقاصدها، دون التقيّد الحرفي بترتيب الألفاظ في النصّ الأصلي، وهو مسلكٌ اتبعه بعض مترجمي معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية في كل من باكستان والهند وبنجلاديش. وعلى الرغم من أن هذا الأسلوب يمنح الترجمة قدرًا من السلاسة ويسرًا في الفهم، فإنه يبدو في بعض المواضع أكثر تعقيدًا تبعًا لطبيعة المعنى وعمقه.

ومن المعلوم أن كل مترجمٍ لمعاني القرآن يترجم وفق قدرته العلمية، ومدى اطلاعه على علوم اللغة، وتمكّنه من علوم القرآن، وبراعته في فنّ الترجمة، مما يجعل لكل ترجمةٍ طابعها الخاص وخصائصها المميزة.

وقد حظيت ترجمة الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري لمعاني القرآن الكريم بإشادات العلماء والباحثين الأكاديميين، فقد وصفها الدكتور عبد القدير خان بأنها "هدية قيّمة إلى جميع الملتمّين بالأردية في العالم"<sup>36</sup> وهو توصيف يكشف عن إدراكٍ لأثرها الواسع وقيمتها العلمية في الأوساط الناطقة بالأردية.

وفي هذا السياق، أشار الدكتور محمد إسحاق القرشي إلى تمكّن الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري من فن الترجمة بقوله:

"قام الشيخ رحمه الله أيضًا بترجمة كتب عربية إلى اللغة الأردية، والترجمة مهمة عسيرة؛ إذ يصعب الحفاظ على روح الأصل عند نقله إلى لغةٍ أخرى، ولا تُعد الترجمة ناجحة إلا إذا سلمت من هذه الإشكالية. وقد أكرم الله الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري رحمه الله ببراعة فائقة في هذا الفن؛ فكان يترجم إلى الأردية مع المحافظة على روح النصّ العربي وأصالته. ومن الجدير بالذكر أنه ترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية في أواخر حياته تحت عنوان: "أنوار الفرقان في ترجمة معاني القرآن"<sup>37</sup> وقد وُفق في عمله توفيقًا ظاهرًا. ويبدو جليًا أنه بذل خلاصة خبرته في العلوم العربية والإسلامية في ترجمته لمعاني القرآن الكريم، وسخر تمكّنه من فن الترجمة لإنجاز هذا المشروع العلمي الكبير، فظهرت مقدرته وتمكّنه من اللغتين العربية والأردية بوضوح من خلال هذه الترجمة.<sup>38</sup>

قال الدكتور غلام سرور القادري، الذي كان هو الآخر مترجماً لمعاني القرآن: "أتمَّ الشيخ في أواخر أيام حياته الشريفة ترجمة القرآن الكريم، وهي ترجمةٌ جديرةٌ بالذكر حقاً من الناحية العلمية والتحقيقية، وصالحةٌ للنظر فيها للانتفاع والاستفادة".<sup>39</sup> كما يؤكد الدكتور منظور أحمد الأزهرى هذا المعنى، مشيداً ببراعة الشيخ في اللغة العربية إلى جانب إجادته اللغات المحلية، وبجهوده العلمية الدالة على سمو همته وعلو درجته، المقرونة بأدب جم، وتواضعٍ علميٍّ. إنه يقول:

كان فضيلة الشيخ عبد الحكيم شرف القادري عالماً جليلاً، وشاعراً عالماً، يجيد اللغات المحلية بالإضافة إلى اللغة العربية العريقة، وله عدة مؤلفات تنم عن طول باعه وبراعته في هذه اللغة المباركة، وكانت همته العالية ترقى به دائماً إلى أعلى المستويات في البلاغة، إلى جانب أدبه الجم وتواضعه المعهود. فرحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وهو السميع المجيب<sup>40</sup> ويعزز هذا التقويم ما قاله الدكتور فضل حنان في حديثه عن شيخه وأستاذه المتمكن من العربية والفارسية والأردية نطقاً وكتابة، مما يدل على شخصية علمية متميزة:

"كان العلامة محمد عبد الحكيم شرف القادري استاذاً لا نكاد نجد له مثيلاً في عصرنا الراهن، فقد كان متمكناً من اللغة العربية نطقاً وكتابة، كما كان فضيلته قد صنّف وألّف باللغات الثلاث".<sup>41</sup> ومن خلال هذه الشهادات المتعددة، يتبين أن مكانة الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري لم تكن قائمة على نتاجٍ جزئيٍّ أو إسهامٍ محدود، بل على مشروعٍ علميٍّ متكامل جمع بين التمكن اللغوي، والوعي المنهجي، والرسوخ في العلوم الإسلامية، مما أهله لأن يُعدَّ من أبرز الشخصيات العلمية في العصر الحديث في بيئته العلمية.

والحمد لله الذي وفق شيخنا الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري لإسهامه في حقل الدراسات القرآنية. ولقد خطر ببالنا - في سياق هذا العرض - تساؤلاً افتراضياً: لو كان الشيخ على قيد الحياة الدنيوية، وسُئل عن سرِّ نجاحه في هذا المجهود الموفق، فيماذا كان يجيب؟ وغالب الظنَّ أنه كان سيردّ - تواضعاً وردّاً للفضل إلى الله - بقوله: "الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والحمد لله الذي فضله وتوفيقه تتمُّ الأعمالُ الصالحةُ أولاً وآخرًا".

#### أهم نتائج البحث

أنزل الله تعالى القرآن الكريم رسالة عالمية باللغة العربية الفصحى ليكون خاتم كتبه وهداية للناس كافة، متجاوزاً حدود الزمان والمكان. وتكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه منذ لحظة نزوله إلى قيام الساعة، فظل محفوظاً في صدور المؤمنين وكتاباتهم وسيظل محفوظاً إلى يوم القيامة.

عند انتشار نور الإسلام خارج الجزيرة العربية برزت الحاجة إلى نقل معاني القرآن إلى اللغات الأخرى حتى الداخلون في الإسلام من غير العرب من فهمه وإدراك أحكامه وقيمه الإيمانية. لا يمكن للترجمة أن تكون بديلاً عن النص القرآني ذاته؛ لكونها تمثل فهمًا تقريبياً للمعنى، بينما يقوم البناء القرآني على إعجاز بلاغي ونسق تشريعي يستحيل نقله كاملاً.

تُعد الترجمة مجالاً من مجالات علم اللغة التطبيقي، وهي فن نقل المعاني من لغة إلى أخرى مع مراعاة خصائص لغة المترجم إليها. ويبدو أنها ليست علمًا محضًا ولا فناً خالصًا، بل هي فن تطبيقي.

أنواع الترجمة: تنقسم الترجمة إلى قسمين: ترجمة حرفية والتي تتمثل في نقل الكلام مع مراعاة النظم والترتيب، وقد وذهب الباحثون إلى استحالة الترجمة الحرفية للقرآن الكريم. ويتمثل القسم الثاني في ترجمة معنوية أو تفسيرية والتي تنطوي على شرح المعنى دون التزام بنظم الأصل أو ترتيبه. ومن هنا يبدو صعوبة ترجمة الأدب والقرآن إذ تتباين ترجمة الأعمال الأدبية عن الكتابات العادية لصعوبة نقل أبعادها الجمالية.

استقر الاصطلاح العلمي الحديث على مصطلح "ترجمة معاني القرآن الكريم" لكونه التعبير الأدق الذي يميز بين النص المعجز وبنيته اللغوية، وبين معانيه القابلة للنقل التفسيري. تمكن الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري من الرسوخ العلمي في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، بالإضافة إلى إتقانه اللغة الأردية، مما أهله لترجمة معاني القرآن، وقد درّس العلوم الإسلامية والعربية ما يقارب أربعين عامًا.

اختار الشيخ مصطلح "ترجمة معاني القرآن" لتجنب الإيحاء بإمكان نقل النص المعجز بذاته. وهو اختيار موفق يدل على اطلاعه على أحدث الدراسات القرآنية في العالم العربي. اتسم أسلوبه بالوضوح والسلاسة في اللغة الأردية، وتجنب التعابير المتكلفة، وحافظ على مركزية النص العربي، وجعل التعابير الأردية خادمة للمعنى القرآني.

اعتمد الشيخ على الترجمة التفسيرية في كثير من الأحيان على منوال التفسير بالمأثور (تفسير القرآن بالقرآن تارة وتفسير بالقرآن السنة النبوية)، مثال ذلك ترجمته لكلمة الفساد في الأرض بمعنى "الإرهاب" مستندًا إلى آية أخرى. وهكذا ترجمة كلمة: "وسع" بأوسع مستندًا إلى تفسيره الوارد في الحديث النبوي الشريف.

أضاف توضيحات موجزةً بين قوسين، على نهج تفسير الجلالين وتفسير المدارك، حيثما اقتضت الحاجة. معتمدًا على كتب التفسير المعتمدة، وذلك صوتًا لأفهام القراء من سوء التأويل. تحرى الدقة والمراجعة المستمرة لتفاسير القرآن، وعدّل ترجمته إذا وجد ترجمة أخرى أرجح من ترجمته لمعاني القرآن.

وقد حظيت ترجمة الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري لمعاني القرآن الكريم بتقدير كبير من العلماء وأساتذة الجامعات والباحثين في أقسام اللغة العربية وأقسام الدراسات الإسلامية في بعض الجامعات الباكستانية، على مستوى البكالوريوس، و ماجستير في الفلسفة في اللغة العربية، والدكتوراه. وهذا الاعتناء . بفضل الله تعالى . مظهرٌ من مظاهر قوله ﷺ عن عبد يحبه الله تعالى: "ثم يُوضَع له القبولُ في الأرض."<sup>42</sup>

مراجع

<sup>1</sup> لقد خلد الله اللغة العربية بتزيل القرآن الكريم على قلب النبي العربي ﷺ بها، فلولا القرآن لما عاشت لغة الضاد حتى اليوم، وستظل هذه اللغة خالدة ببركة القرآن إلى يوم القيامة. قال الله تبارك وتعالى: وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ. (سورة الشعراء: ١٩٢-١٩٥)

- <sup>2</sup>أكرم المؤمن، فن الترجمة، دار الطلائع، دون سنة الطبع، ص: ٧
- <sup>3</sup>عباد ديرانية، فن الترجمة والتعريب، أكاديمية حساب، المملكة المتحدة، دون سنة الطبع، ص: ٤٠.
- <sup>4</sup> ننظر: الذهبي، محمد حسين، الدكتور، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، (دون سنة الطبع) ص: ١٩. وننظر كذلك: زيدي، محمد مرتضي، الحسيني، تاج العروس، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ٢٠٠٠م، ج: ٣١، ص: ٣٢٧. وننظر كذلك: الإفريقي، محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج: ١٢، ص: ٦٦.
- <sup>5</sup>عز الدين محمد نجيب، أسس الترجمة، مكتبة ابن سينا، بالقاهرة، (دون سنة الطبع، الطبعة الخامسة) ص: ١٠.
- <sup>6</sup>شكري عزيز الماضي، من إشكاليات النقد الجديد، ط: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، ص: ٣٨.
- <sup>7</sup>محمد عناني، الدكتور، الترجمة الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، بالقاهرة، ٢٠٠٣م، ص: ٣،٤ (ملخصاً)
- <sup>8</sup>عبد الله عباس، الدكتور، ترجمات معاني القرآن الكريم وتطوره عند الغرب، رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، (دون سنة الطبع) ص:
- <sup>9</sup>نور الدين عتر، الدكتور، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، دمشق، ١٤٩٦هـ، ص: ١١٦
- <sup>10</sup>مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، (دون سنة الطبع) ص: ٣٠٧.
- <sup>11</sup>عبد الله عباس، الدكتور، ترجمات معاني القرآن الكريم وتطوره عند الغرب، رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، (دون سنة الطبع) ص: ١١.
- <sup>12</sup>ننظر: أنوار الفرقان في ترجمة معاني القرآن، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، ص: ١١.
- <sup>13</sup>ننظر نموذجاً من الشعر العربي والأردني والفارسي للشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري في: عبد الستار طاهر، محسن أهل سنت، رضا دار الأشاعت، لاهور، ١٩٩٩م، ص: ٥٤، ٥٥، ٥٦.
- <sup>14</sup>السيوطي، عبد الرحمن، جلال الدين، التبحير في علوم التفسير، دار الفكر، بيروت، دون سنة الطبع، ص: ١٣٠، ١٣١.
- <sup>15</sup>قادري، محمد عبد الحكيم شرف، أصول ترجمة القرآن، أكاديمية رضا، لاهور، ١٩٩٦م، ص: ٢٥.
- <sup>16</sup>أنوار الفرقان في ترجمة معاني القرآن، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، ص: ١٠.
- <sup>17</sup>أخبرني بذلك عبي فيض الحسن حفظه الله تعالى بتاريخ: ٨ من شهر ديسمبر ٢٠٢٥م بيبته في لاهور.
- <sup>18</sup>القادري، محمد عبد الحكيم شرف / صوفي عبد الستار طاهر، تذكارات الشرف، المممتاز بيليكيشنز، لاهور، ١٩٩٩م، ص: ٨٢-٨٣.
- <sup>19</sup>أنوار الفرقان في ترجمة معاني القرآن، ص: ١١.
- <sup>20</sup>البقرة: ١١.
- <sup>21</sup>أنوار الفرقان في ترجمة معاني القرآن، ص: ٥.
- <sup>22</sup>البقرة: ٢٠٥.
- <sup>23</sup>أنوار الفرقان في ترجمة معاني القرآن، ص: ٥٧.
- <sup>24</sup>ممتاز أحمد سديدي، المحاسن العلمية لأنوار الفرقان في ترجمة معاني القرآن، مقال منشور في مجلة الشرف، عدد أكتوبر ٢٠٠٧م، ص: ٥٧.
- <sup>25</sup>البقرة: ٢٥٥.
- <sup>26</sup>أنوار الفرقان في ترجمة معاني القرآن، ص: ٧٦.
- <sup>27</sup>الطبري، محمد بن جعفر بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الحديث، القاهرة، ٢٠١٠م، ج: ٣، ص: ٢٧٨.
- <sup>28</sup>الفاطحة: ٧.
- <sup>29</sup>البقرة: ١٢٠.
- <sup>30</sup>أنوار الفرقان في ترجمة معاني القرآن، ص: ٣٠.
- <sup>31</sup>المرجع السابق، ص: ١٢.
- <sup>32</sup>البقرة: ١٢٠.
- <sup>33</sup>أنوار الفرقان في ترجمة معاني القرآن، ص: ٣٣.
- <sup>34</sup>ممتاز أحمد سديدي، المحاسن العلمية لأنوار الفرقان، مقال منشور في مجلة الشرف، عدد أكتوبر ٢٠٠٧م، ص: ٦١.

- <sup>35</sup>بيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الرشيد، بيروت، ٢٠٠٠م، ج: ١، ص: ١٩
- <sup>36</sup>أنوار الفرقان في ترجمة معاني القرآن، ص: ١١
- <sup>37</sup>المرجع السابق، ص: ١٤
- <sup>38</sup>أدلي فضيلته رحمه الله تعالى برأيه هذا في لقاء معه في بيته بمدينة فيصل آباد، بتاريخ: ١٨ من شهر ديسمبر ٢٠٢٠م.
- <sup>39</sup>مجلة الشرف، عدد أكتوبر ٢٠٠٧م، ص: ٣١٢
- <sup>40</sup>محمد طاهر، الشيخ عبدالحكيم شرف القادري أديبًا عربيًا، ص: ١٣٣
- <sup>41</sup>المرجع السابق، ص: ٣٥٠
- <sup>42</sup>إشارة إلى الحديث النبوي الشريف: إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض. رواه الإمام البخاري بسنده في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه. رقم الحديث: ٣٢٠٩